الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

النزعة الفلسفية في خمريات أبي نواس فلسفة الدين وفلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال أنموذجا

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبات:

سارة بن عمارة

سعيدة بوطيب

عبد القادر محيريق

مروة خطاب

إشراف الأستاذ :

نبيل مزوار

الموسم الجامعي:1438/1437هـ – 2017/2016

لم يعبر الشعر الخمري النواسي على وجدان الشاعر فحسب اذ كان معبرا بالمقابل عن فكره وعقله ، بحيث تضمنت آثاره تلك مجموعة من الرؤى الفلسفية في الانسان والحياة والكون وهو موضوع هذه الدراسة المتواضعة التي دفعتنا اليها اسباب ذاتية وأخرى موضوعية . ولعل من أبرز الأسباب الذاتية اهتمامنا بالدراسات الفلسفية التي تتخذ الأدب موضوعا لها . كما كان لجاذبية الموضوع سلطانها على الباحث في اختياره لهذا الموضوع .

أما الأسباب الموضوعيه فلعل أهمها : ثراء الخمريات النواسية بالنظرات الفلسفية .كما كان الفضول الملح المتعلق بمعرفة منطلقات التفكير النواسي دافعا وجيها لذلك .فجاء موضوعنا موسوما بـ (النزعة الفلسفية في خمريات أبي نواس)، الذي نروم من خلاله الاجابة عن أهم الأسئلة الملحة في مقاربة مثل هكذا موضوعات .فما أبرز الرؤى الفلسفية التي تضمنها شعره الخمري ؟ وما منطلقاته فيها وما أبرز تجلياتها ودوافعه في ذلك ؟

وقد أقمنا بحثنا هذا على خطة تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة ضمت أهم نتائج البحث ومستخلصاته.

أما الفصل الأول : فعنوانه أبو نواس والشعر وقد انطوى على مبحثين تناولنا في المبحث الأول حياته ونشأته في حين عالجنا في المبحث الثاني الشعر عنده .

في حين كان الفصل الثاني موسوما:" بالخمريات وتجليات الرؤى الفلسفية" وقد قسمناه بدوره الى مبحثين أما الأول منهما فعنوانه الشعر الخمري في العصر العباسي بينما حمل المبحث الثاني عنوان تجليات فلسفية في شعر أبي نواس الخمري .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهجين التاريخي والوصفي . هذا وقد اتكأ البحث على مجموعة من المصادر والمراجع لعل أهمها: خمريات أبي نواس" لأيمن زكي العشماوي و فن الشعر الخمري لايليا الحاوي و الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة . ومن أبرز ما واجه البحث من صعوبات هي قلة الدراسات الفلسفية التي تتناول الموضوعات الأدبية. وعدم امتلاك الباحث أداة

التحليل الفلسفي . ولا يسعنا في الأخير إلا نتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من كانت له يد بيضاء على البحث من قريب وبعيد.ونخص بالذكر الأستاذ المشرف "**الدكتور نبيل مزوار**".لما أسداه من نصائح وتوجيهات .

ولا نزعم أننا وفينا الموضوع حقه ومستحقه من الدراسة فمثل ذلك بعيد المنال عن الباحث المتخصص فضلا عن المبتدئ وحسبنا أننا اجتهدنا ما استطعنا وما توفيقنا الا بالله.

أولا – حياة أبي نواس ونشأته

1 – نسبه ومولده :

هو الحسن ابن هاني بن الصباح بن عبد الله بن الجراح بن جعاده بن الأفلح ابن زيد بن هنب بن ذوه بن عنم بن سلم بن حكم بن سعد العشيرة بن مالك، و كنيته أبو نواس . [1]

وقيل أنه كني بأبي نواس لذؤابتين من الشعر كانت تنوسان على عاتقه وقيل بل كني بذلك تشبها بذي نواس أحد تبابعه باليمن .

أما أمه فتدعى جُلبان فكانت فارسية الأصل ويبدوا من هذه الأخبار كانت فقيرة رقيقة الحال ، لكنها كانت مع ذلك حسنة التدبير وقد نفعها حسن تدبيرها هذا في تحايل على الحياة بعد وفاة زوجها هانئ وشاعرنا لم يزل بعد غضاً ، وقد انتقلت الأم من بلدتها بعد وفاة زوجها الى البصرة .[2]

لقد تضاربت الأقوال في تاريخ ولادته و مكانه فقيل كان مولده في سنة ست وثلاثين ومائه . وقيل , سنة خمس و أربعين , و قيل سنة ثمان و أربعين , و قيل سنة تسع و أربعين .

أما مكان ولادته فقد ذكرت فيه أقوال كثيرة و المجمع أن أصله من عوز الأهواز .[3]

2 – نشأته وثقافته:

نشأ أبو نواس يتيما فقد مات والده وهو في سن السادسة من العمر ، وألمت الفاقة بأمه فأسلمته الى عطار يعمل عنده كأجير يبري عيدان الطيب .

يمثل واقع أبي نواس نموذجا لواقع العصر العباسي جميعا في الإباحية واضطراب القيم الأخلاقية , فالشبهة تقع على أصله من جهة والده, كما أن والدته اثر ترملها ,طفقت تؤوي طلاب المتع والمجان

[1] أيمن محمد زكي العشماوي ،خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ، مصر 1998 ، ص 53.

[2] المرجع نفسه ، ص 54.

[3] ينظر ، علي فاعور ، ديوان أبي نواس ، ط 3 دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ،1423 هـ / 2002 م ، ص 4-5 .

, وربما قضت عيشة مستهترة, لم تقلع عنها وتتزوج ثانية, إلا بعد أن أسرف الناس بثلبها ولقد نشأ أبو نواس في تلك البيئة , يبصر المجان و الخلعاء وسائر المرابطين, وهم في عرس دائم من الإباحية والفجور, فألف تلك الحياة, وانطبعت في نفسه المراهقة دون أن يقوى على التحرر منها, و بالإضافة إلى ذلك لم يكن يربطه بأسرته ذلك الرباط الحي الذي يقرر مصير الولد ويعده أو يتعهده منذ الصغر و هكذا فالخطيئة الأولى في شخصية أبو نواس كانت خطيئة التربية والنشأة إذ لم يشعر بجو البيت وصرامة الوالد , كما أن والدته أهملته وجعلته يستطلع الحياة ويتدرب على العيش فيها بأسلوبه الخاص فانحرف في صباه وانحرفت حياته جميعا .

ولعله من الضروري أن نضيف أيضا إلى هذين السببين , سببا آخر , كان أكثر تأثيرا على مصير الشاعر , وأشد تعقيدا لواقعه , ذلك حبه للجارية جنان , ولقد تداولت كتب الأدب نوادر شتى من ذلك , إلا أن ما بهمنا أن الشاعر الاباحي المستهتر , كان لديه في حياته زاوية جدية رصينة , يلتفت من خلالها إلى الحياة , كما يلتفت إليها الآخرون ,وهكذا فان جنانا كانت تمثل عقدة مزدوجة في نفسه , فمن جهة تعذبه بصدودها وربما احتقارها , ومن جهة أخرى كانت تضطره إلى أن يشعر بما يشعر به الآخرون من الناس العاديين الذين كان لا ينفك يهزأ بمصيرهم واعتقاداتهم , إن حبه لها كان يفهمه أنه يعجز عن التحرر من واقع الناس , فهو وان تهزأ بهم ,, لا يعتم أن يعاني مصيرهم . لقد كان حبها النقطة السوداء في حياته الزاهية , لأنه يمثل الجبرية التي تستبد بالإنسان وتقيده وتجعله يشعر بما لا يريد أن يشعر به . ولو قدر لأبي نواس أن يحظى بحب جنان , لكانت انطفأت جذوته , وغدا أمره معها ,كما تغدو أمور الحب في الناس جميعا . إلا أن جنانا تعصت عليه و رذلته , ولم تتورع من إظهار احتقارها وسخطها , حتى شبهته بالكلب . وذلك جميعا كان يضاعف من التعقيد في نفسه , إذ جعل يحاول أن يتحرر منها ويهجرها , لكنه لم يقوى على ذلك , وظلت تقيده بالواقع الذي ظن نفسه متحررا منه , متداولا عليه . وأشاعت في نفسه الحس الدائم بالشقاء والهزيمة و اللاجدوى .

وهكذا , فقد غدت جنان بالنسبة لأبي نواس , كما ستغدو ضالة الجسم وقلة اللحية بالنسبة لابن الرومي , إنها نقطة الاختلال التي تشيع في حياته القنوط و توقظ عصب التساؤل بصورة دائمة .

ولقد دفعه إلحاحه بالتفكير في حب جنان إلى التفكير في الحياة , ومن خلال حبه لها وشعوره باليأس والقنوط , أخذ يتأمل , متعمقا حينا بالفقه و الدين , وحينا آخر بالفلسفة .[1]

ثقافته :

و الحق أنه لا الغرابة في تلك النشأة بالنسبة لذلك العصر, فقد كان كثير من الفتيان ينشئون عليها, و إنما المهم أن أبا نواس كان يشعر أن في نفسه شيئا لم يكن في نفوسهم , فهو يتمتع بمتعهم , ولكنه في الآن ذاته يتطلع إلى المتعة العقلية , ولقد مثل من هذا القبيل واقعا مزدوجا متناقضا يلج في حياته مع السوقة الذين لا كرامة ولا هموم إنسانية لديهم , بينما يرتفع من جهة ثانية , فيصبح معاشرا لذوي المصائر الكبرى , إذ يعنى بهموم الفلسفة والفقه والدين وسائر العلوم , لقد جمع ذروة الرقي في العلوم , مع حضيض الإباحية في الأخلاق , و هو بذلك كابن الرومي فيما بعد , أو كسائر أبناء عصره , ينعمون بالثقافة العميقة المترفة , ويتمرغون في الآن ذاته , في حماة الرذيلة , فكأنهم ذوو عقول جبارة , لكنها كافرة فاجرة .[2]

لقد كان لأبي نواس ثقافة دينية واسعة في اول حياته فقد طلب الحديث وسمعه من حماد بن زيد البصري شيخ العراق المتوفى سنة 179 هـ الذي روى أربعة آلاف حديث ، وسمع من محدث البصرة معتمر بن سليمان المتوفى سنة 187 هـ الذي اخذ عنه كثير من علماء الحديث ومن بينهم الامام احمد بن حنبل ، كما سمع من يحي بن سعيد القطان البصري الحافظ المنوفي سنة 198 هـ وكان من أقران مالك ، وسمع أيضا من أزهر بن سعد السعدان البصري المتوفى سنة 203 هـ الذي كان ثقة في

[1] المرجع السابق،ص 212-213.

[2] ايليا الحاوي ، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ،1401هـ/1981م،ص211-212.

الحديث وتردد على أبي جعفر المنصور . هذا ما كان من أمر أبي نواس في تلقيه الحديث ، وأما القرآن فقد قرأه على امام البصرة ومقرئها عالم القراءات يعقوب بن اسحاق الحضرمي المتوفى سنة 205 هـ .

و أما النحو فقد أخذه عن أبي زيد النحوي ، فكتب عنه الغريب والألفاظ وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أيام الناس وهو فضلا عن ذلك قرأ سيبويه وثقف نفسه ثقافة نحوية طيبة .

ويجمل اين المعتز ثقافة أبي نواس الدينية ومقدرته في العلوم الاسلامية فيقول : ((كان أبو نواس عالما فقيها ، عارفا بالأحكام و الفتيا ، بصيرا بالاختلاف صاحب حظ و معرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن و منسوخه ومحكمه و متشابهه ....و كان أحفظ لأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الاسلاميين والمحدثين .[1]

وفاته و وآثاره :

و كما اختلف في مولده وقع الاختلاف كذلك في موته فقيل توفي سنة خمسة وتسعين ومائه , وقيل سنة سبع و تسعين , و قيل مات قبل دخول بغداد بثمان سنين و كان عمره تسعة و خمسين سنة .

توفي أبو نواس وبقيت آثاره فقد خلف ديوانا طبع مرارًا في بيروت ومصر ، يتضمن حوالي 12 ألف بيت من الشعر ، مرتبة على اثني عشر بابا ، مرجعها الى الخمر والمجون والغزل ، والمدح والرثاء ، والهجاء والوصف والطرد ، والزهد والعتاب وما الى ذلك . من البيّن أنه قد نسب اليه شعر كثير ليس له ، ولا سيما في الخمرة والمجون والطرد.ولا بدع في ذلك فقد أصبح رجل الشعب والمثل الأعلى لكل ما هو من الخمر والعبث وما يشبهها ،حتى نسج حول اسمه جم من الأساطير ونسب اليه كل ما جهل مصدره من الأبواب التي برع فيها .[2]

[1] مصطفى الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ،دار العلم للملايين ،بيوت ،لبنان ،ط 1 1979،ط 6 1986،ص 273-274.

[2] ينظر حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، دار الأصالة ، المكتبة البوليسية ، بيروت ،لبنان ،ط 12 ، ص 398.

ثانيا – الشعر عند أبي نواس

1 – روافده :

لقد كان أبو نواس عربي التكوين وإن لم تكن أصوله عربية خالصة أديبا ضليعا في اللغة له مشاركة في أكثر ألوان المعرفة الدينية و الدنيوية متفننا في العلم وقد ضرب في كل نوع منه بنصيب ، وقد كان لها حضورها في عموم شعره الذي جرى على لسانه وهو بعد حدث لم يتجاوز ست سنوات وقد اكتشف أستاذه والبة عبقريته وقدرته على القريض فأخذه معه الى الكوفة بحجة تخريجه وتعليمه الشعر .

وقد كان والبة على رقة شعره من أفحش الناس أخلاقا وأشهرهم سقوطا وأشدهم اقداما معصية وأكثرهم اعلانا لنزواته ، بل وانه أكثر المجان في تاريخ الأدب العربي ، ولما بدت له بعض ثنار الشعر على لسانه دعاه إلى العكوف عليه ومشافهة الأعراب فضل كذلك حينا في البوادي يحفظ الشعر و لا يقوله حتى ألم بمحفوظ غزير كان خير الزاد له في رحلته مع الشعر .

وإذا كان أبو نواس قد استفاد منه أستاذه شعرا إلا أنه نال منه ما نقله من صفوف ذوي العفة والمروءة الى صفوف المجان و الخلعاء ، وما ان مات والبة قام خلف بن الأحمر بتنشئته على الشعر والنحو الغريب وأيام الناس ،وكان خلف على زندقته ذا قدر ومقدرة في دنيا الأدب بعامة واللغة بخاصة .[1]

ولم يزل كذلك حتى اشتد عوده في الشعر وصار من أكبر وأشهر شعراء زمنه حتى قال فيه أبا عبيدة عنه : ((كان أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين)) ويقول عنه العتابي: ((لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه احد)) ، ويقول عنه سفيان ابن عيينه ((انه أشعر الناس في قصيدته في جنان)) :

يا قمرًا أبرزهُ مأتمٌ ينددبُ شجوًا بينَ أترابِ [2]

[1] ينظر ، المرجع السابق،ص 275.

[2] سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط ج ، ص 94.

2- موضوعات شعره :

لم يطرق الشعراء بابا من أبوبا الشعر إلا ولأبي نواس منه أوفي نصيب فقد كتب في كل الأغراض الشعرية التي استهوت الشعراء و يخلص المتأمل في ديوانه إلى موقفين , موقف المقلد وموقف المجدد . أما موقف المقلد فيبدو في مديحه , حيث يتكلف الأسلوب الأعرابي . وأما في التعبير عن عواطفه الطبيعية ووجدانه الحقيقي فانه قد يأتي بالجديد الرائق و أكثر ما يكون في خمرياته ومجونه وغزلياته .

ومن هذي الأغراض الشعرية لأبي نواس نجد :

غزله :

اعتقد الكثير من أهل الأدب أن أبا نواس قلما يخفق بحب صادق في تغزله بالنسوان لأن لا محل فيه للكلام عل وفاء العشاق بالمعنى الذي عرفه قراء الأدب العربي من أخبار العذريين .

وغزل أبي نواس على عذوبته وظرفه متخنث ضعيف , ولعله في الغزل الغلماني أصدق عاطفة منه في النسائي , عل أنه في كليهما لا يجلو لنا ذلك غير الغرائز الحيوانية السفلى التي تنم عن تحرق شهواني يصل إلى درجة الإسفاف أحيانا .

على أن هذا الغزل يتسم في أغلبه بجودة اللفظ والمعنى إلا أن طه حسين لا يجعل هذه الجودة مقياسا لنبوغ أبي نواس في الشعر أو لصدقه في الحب , وهذا المقياس إن وجد فهو في نظره يوجد في وصفه للخمر وفي غزله بالمذكر . أما عن العاطفة التي هي لب القول وجوهره فإنها لا تكاد توجد في غزل أبي نواس لأن الحب يحتاج إلى قلب و أبو نواس كان حليف نزوة و أسير شهوة و جليس شذوذ وانحراف , وهذا ما ذهب إليه مهدي البصير. [1]

[1] عروة عمر،الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه،دروس ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ص 96-97.

ومع كل هذا وذاك فإننا لا نعدم أن نجد له نتفا شعرية يبث فيها لواعجه فتغدو أداة الشعر عنده طيعة سخية حتى يخيل إلينا أنه من أرق الشعراء غزلا .[1]

يقول :

ما هوىَ إلاَّ لهُ سبـــبُ يبتديِ منهُ و ينشعــبُ

فتنتْ قلبيِ محجبـــةٌ وجههَا بالحسنِ منتقبُ

خلِّيت والحسنُ تأخذهُ تنتقيِ منهُ وتنتخـــــبُ[2]

وكان سفيان بن عيينة المحدث الكوفي حين يسمع هذه الأبيات يعلق عليها بقوله:آمنت بالذي خلقها.

وهذا المبرد يفضل أبا نواس على المحدثين جميعا لأنه شبب ومدح في أربعة أبيات.

يقول :

تقولُ غداةً البين إحدَى نسائهــمْ لي الكبد الحرى فسرولك الصبــرُ

وقد خضبتهــا عبرة فلدمعهـــــا علىَ خدهَا خدٌ وفيِ نحرهَا نحـــرُ

وقالتْ إلىَ العباسَ قلت فمنْ إذاَ ومالي منَ العباسِ معدى و لا قصـرُ

فهلْ يكلفن إلاَّ براحتهِ النـــــدَى وهلْ يزهونَ إلاَّ بأوصافهِ الشعـــــرُ[3]

[1] المرجع السابق،ص97.

[2] سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس ،ص 82.

[3] عروة عمر،الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه ص98.

مديحه :

أبو نواس من الشعراء الذين يحرصون على تقاليد العرب في المديح بالذات رغم تذمره من حين لآخر من هذه التقاليد الموروثة , و التي لم يستطع أن يتجاوزها لا سيما في مدائحه التي هي أكثر تقليدا من غزله و التي قيل عنها أنها صورة مصغرة لمدائح زهير والخطيئة والأعشى في الأخيلة والخواطر والمقاصد والأغراض , فهو أحيانا يمدح هارون الرشيد على الطريقة القديمة فيذكر الأطلال ويصف راحلته التي أوصلته إلى الممدوح .

يقول:

لما نزعت عن الغواية والصبـَا و خدت بي الشد نية المذعانُ

سبط مشا فرها دقيق خطمهـَا كأن سائر خلقها بنيـــــــانُ

واجتازهَا لون جرى في جلدهَا يقق كقرطاس الوليد هجـــــانُ

فهو يصف ناقته التي حملته إلى الرشيد فيحب أن يسلك في وصف الناقة التي تحمله إلى ممدوحه طريق غيره من الشعراء الذين حملتهم نوق الملوك والأمراء حتى أنه ما من قصيدة من عيون مدائحه إلا سار فيها على النهج التقليدي وقدم من خلالها ما يعجب ويطرب .

يقول في قصيدة يمدح بها الأمين :

يا دار ما فعلت بك الأيامُ ضامتك والأيام ليس تضامُ

ويقول في صدر قصيدة يمدح بها الفضل بن يحي البر مكي :

أربع البلى إن الخشوعَ لبادِ عليكَ واني لم أخنكَ ودادِي[1]

ويقول في صدر قصيدة يمدح بها محمد بن الفضل ابن الربيع :

[1] المرجع السابق،ص99-100.

لمن طلل لم أشجه وشجانِي وهاج الهوى أو أهاجه لأوانِـــي

وقد يجمع أبو نواس بين بكاء الأطلال ووصف الخمر تمهيدا للمديح في القصيدة الواحدة يقول في قصيدة يمدح بها هارون الرشيد :

لقد طال في رسم الديار بكائِي وقد طال ترادِدِي بها وغنائِـــي

كأني مريع في الديار طريـــــدةً أراها أمامي مرة وورائِـــــــــي

فلما بدالي اليأس عديت ناقتِـي عن الدارِ و استولى علي عزائِي

إلى البيتِ حان لا تهر كلابـــــهُ علي ولا ينكرن طول ثوائِـــي

فان تكن الصهباءُ أودتْ بتا لديَّ فلم توقني أكر ومتي وحيائِـــي

إن مثل هذه المقدمات مخالفة واضحة من أبي نواس لمذهبه القائم على ترك الأطلال .

ذلك أن ذوق أبي نواس الجديد وحياته الحضرية لم يمنعاه من مجاراة الأوائل في فنهم ولذلك فقد يخرج عن المبدأ الذي اقتنع به اقتناعا تاما تحت إلحاح الظروف فيقول من الشعر ما يرضى به الذوق التقليدي .[1]

رثاءه :

جرى الرثاء على لسان أبي نواس ولكنه على الجملة قليل لأنه مشغول بالحياة عن الموت ومن ذلك قوله : في رثاء الرشيد :

الناس ما بين مسرور ومحزونُ وفيه سقام كيف الموت مرهونُ

من ذا يسر بدنياه وبهجتهـَـا بعد الخليفة بين التوفيق هارونُ

[1] المرجع السابق.،ص100-101.

وقال في رثاء الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوى المنية ناشـــرُ

فلا وصل إلى عبرة تستديمـــَا أحاديث نفس ما بها الدهر ذاكرُ

لئن عمرت دور بمـــن لا أودهُ لقد عمرت ممن أحب المقابـرُ

وكنت عليه حذر الموت وحدهُ فلم يبقى لي شيء عليه حائـرُ[1]

ولم يكن في أغلب رثائه لذوي السلطان صادقا إلا في رثاء الأمين لأنه كان نديمه فهنا يتأسف الشاعر على زوال المحبة و موت صديقه و حبيبه , و لم يبقى له إلا الدموع ونفس مخترقة من الفراق , ولم يبقى له إلا من يكره لأن القبور ضمت من يحبه .

هجاءه :

أما الهجاء فقد كان للشاعر التفاتة التي تحركها الشعوبية أو العبث واللهو له نذكر من قصائده في ذم البصرة يقول الشاعر :

قولا لعباس لكي يـــــدرِي لغلام عك قدوة المصـرِ

فيما الكتاب إلي تجبرنِـــي بسلامة في البطن والظهرِ

وبحسن ضع الله يا عجبا لكَ في جميع الشأن والأمـرِ[2]

وقال يهجوا أشجع السلمى في قصيدته يقول الشاعر :

ألا يا حادثاً فيـه لمن يتعجّبْ العجـــبُ

لأسماء يسميـــهـ نَّ أشجع حين ينتسبُ

[1] محمود أفندي واصف،ديوان أبي نواس ،المطبعة العمومية ،مصر ،1898،ط1،ص129.

[2] المرجع نفسه.ص166.

تعلمها وإخوتـــه فكلهم بها ضـــــربُ

لقد زنُّوا عجوزهم ولو زنَّيْتها غضبُـــــوا [1]

انه لأمر يثير العجب اختلاق أشجع السلمى أسماء آبائهم وأجدادهم حين ينتسبوا ، أي تدريب أخوتهم منذ الصغر أن يذكروا هذه الأسماء فأصبحت ألسنتهم بها طليقة .انهم بانتسابهم الى غير آبائهم جعلوا والدتهم زانية ولو قلت فيهم ذلك غضبوا . وهنا يعطي الصفات السيئة لهؤلاء الأشخاص فهو يهجوهم فيها.

زهده :

بالإضافة إلى هذه الأغراض الشعرية فقد كان للزهد نصيب في ديوان الشاعر بصرف النظر عن دواعيه وقد أبدع في ذلك حتى أرقت قصائده أبا العاتهية . و منها :

يا نفس خافي الله واتئدِي وأسعى لنفسك سعى مجتهد

من كان جمع المال همتهُ جمحت بك الآمال فاقتصد

و أراك تركب ظهر مطعمةٍ تطوى بها بلدا أي بلـــــدٍ

لو لم تكن لله متهمـــــا لم تمس محتاجا إلى أحـــد [2]

فهنا خطاب الشاعر المباشر لنفسه يحثها على طاعة الله سبحانه وتعالى و الابتعاد عن هم الدنيا مثل جمع المال , والرجوع والتوبة لله هو الأفضل .

وقال أيضا :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت أن عفوك أعظـــمُ

[1] سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس ، ص 75 .

[2] المرجع السابق ،ص192-193.

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ و يستجير المجــرمُ

أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحـمُ

مالي إليك وسيلة إلا الرجـاء وجميل عفوك ثم إني مسلـــمُ[1]

في هذه الأبيات يعترف الشاعر بذنوبه و يتضرع إلى الله تعالى ويدعوه بأن يغفر ذنوبه وخطاياه .

وهكذا فقد خاض أبو نواس في عموم الأغراض الشعرية التي جرت على ألسنة الشعراء و برع فيها براعة نادرة لكن شعره الخمري بصرف النظر عن الموقف الأخلاقي منه يظل الأكثر دلالة على نفسيته ورؤيته للحياة ونسقه في الكتابة الشعرية فضلا عن كونه يشغل أكثر من ثلثي ديوان الشاعر .

[1] المرجع نفسه ، ص 199-200

أولا : الشعر الخمري في العصر العباسي

1-تعريف الشعر الخمري :

أ-مفهوم الخمرة لغة :

الخمر : بمعنى خامر الشيء قاربه و خالطه. وسميت الخمر خمرا لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها . ويقال سميت بذلك لمخامرتها العقل . وقيل الخمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتخمرت بالخمار واختمرت اي لبسته وخمرت رأسها غطته . والخمر ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل .[1]

ب-مفهوم الخمرة اصطلاحا :

كل ما أسكر سواء كان عصيرا أو نفيعاً من العنب أو غيره . أو مطبوخا أو غير مطبوخ .والسّكر : هو اختلاط العقل ، والمسكر : هو الشراب الذي جعل صاحبه سكران :خلاف صاحي .

[1] ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ج 5 ، ص 338-339.

ج – تعريف الشعر الخمري

الشعر الخمري هو فن من فنون الشعر الغنائي الذي عرف في العصر العباسي الأول ، والذي يتغنى به الشاعر بوصفه للخمرة وشربها ومجالسها ونشوتها وطعمها وآثارها وما شابه ذلك ، حيث أصبح هذا الفن غرضا قائما بذاته ، على يد أبي نواس زعيم الخمرة دون منازع ، وقد انتهج شعراء الخمرة أساليب بديعة في التعبير عن المعاني الخمرية المختلفة ،ومن بين الأساليب التي لجؤوا إليها ، الأسلوب القصصي الذي يشيع الحوار بين الشاعر و الخمرة.[1]

الخمريات ، أو قصائد الخمرة ، وهي قصائد نظمها الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي والمعروف باسم أبي نواس ، جاءت كأحد ابرز تيارات التجديد والثورة على الشعر العربي القديم ، في اوج قوة العصر العباسي ، العصر الذهبي للأدب والكتابة العربية الإسلامية.و يعتبر التغني بالخمرة و الثناء بها والتلذذ بشربها والتفنن في اعدادها ابرز مواضيع هذه القصائد إذ جعل أبو نواس منها بديلا عن حبيبات أهل البدو فمجدها وتغنى بها عوض ان يقف على اطلال حبيبة أو خليلة.

[1] ينظر ، مصطفى بيطام ، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الاول 131-231،ديوان المطبوعات الجزائرية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ،الجزائر ، د ط ، د ت ،ص 31 .

2– عوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي :

أ–الأسباب السياسية :

ساهمت الحياة السياسية العباسية بقسط وافر في انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي ويظهر ذلك واضحا في :

- غلبة الطوابع الفارسية على نظم الحكم السياسية و الادارية للدولة العباسية .[1]
- غض الطبقة السياسية الطرف عن انتشار دور الخمرة و اللهو .
- حضور شعراء الخمرة مجالس السلاطين لا سيما في عهد الأمين ومشاركتهم لهم .
- تشجيع السلاطين لشعراء الخمرة من خلال الحضوة و التقريب أو بما يجرون عليهم من جرايات

ب – الأسباب الاجتماعية :

ليس غريبا أن يكون للأسباب الاجتماعية دورا هاما في انتشار الخمريات في العصر العباسي بالنظر إلى طبيعة الحياة يومئذ ولأنها آفة من أبرز الآفات الاجتماعية يومئذ ويتمثل ذلك في :

ب –1 الثراء والترف :

وللحضارة و الثراء و الترف دور هام في تنشئة البيئة العباسية فلا ريب في أن هذا البذخ انما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من شعراء ومغنين وعلماء مثقفين ، وقد هيّأت خزائن الدولة السبيل الى هذا الترف والثراء فكانت المعين الغدق لهم .[2] وهو ما سمح بانتشار أوسع للمتع المشروعة و الممنوعة و الخمرة من أبرزها على الإطلاق .

[1] ينظر، شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط 16 ،ص 3.
[2] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 44-45 .

ب –2 الرقيق والجواري والغناء :

كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب من كانوا يؤسرون في الحروب وبسبب انتشار تجارته. حتى كان في بغداد شارع خاص بها يسمى شارع الرقيق ، وقد أصبح المجتمع العباسي يتزوجون منهم . ونحن نعلم أن هؤلاء الجواري و الاماء من أجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة فأثّرنا آثارا واسعة في أبناءهن و محيطهن ، وهذا التأثر امتد الى قصر الخلافة وعملت فيه عملا بعيد الغور. فأصبح الحديث عن الخمرة و الشعر الخمري مألوفا مقبولا [1]

كما أثّر الغناء فى الناس في هذا العصر أيّما تأثير ، فشغلوا به لما يبعثه في نفوسهم من غبطة وابتهاج وسرور حتى أنشأوا اليها دورا كبيرة جذبت المغنيين والمغنيات من كل صوب ونحو. و كانت الخمرة و التغني بها من أهم مادة تلك المجالس .[2]

ب–3 المجون :

ورث المجتمع العباسي من المجتمع السّاساني الفارسي أدوات لهو والمجون ، والتي دفعت اليها الثورة العباسية من حرية مسرفة فقد مضوا يعبون الخمر عبّا ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة ،فأدمنوها لتصبح ظاهرة عامة رغم تحريمها ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ [1] وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾]المائدة: 90، 91[.

لعل من أسباب انتشارها اقبال الناس عليها أدى الى اشتهار بعض فقهاء العراق الى تحليل بعض الأنبذة ، كنبيذ التمر والنبيذ الزبيب والعسل ، والبرُّ والتين ، فشربها الخلفاء والناس . وتهالك بعض الناس امعانا في المجون على أنواعها المحرمة بإجماع الفقهاء .

[1] ينظر ، المرجع السابق ، ص 57 .
[2] ينظر ، المرجع نفسه ص 59.

ج – الأسباب العقلية :

- الامتزاج الجنسي واللغوي والثقافي الناجم عن الفتوحات الاسلامية والأخذ بالعلم من تخالط الألسنة في الحضارة الاسلامية .
- التأثر بالفلسفة اليونانية وتجلياتها في العقلية العباسية .
- ترجمة عدد من الآثار الخمرية الفارسية الى العربية .
- المنافسة على الغرض الشعري بداعي الاختصاص .[1]

[1] المرجع السابق ، ص ، 63.

3 – علاقة أبي نواس بالخمريات :

المتأمل في شخصية هذا الشاعر يجد انها تقوم على الولوع بالعرض والظهور وشغفه باغاضة الناس والاستخفاف بهم .كما كان بالنسبة له أن يجهر بملذاته أهون لديه من أن يمتنع عن لذة من لذائذه مجذبة لمرضاتهم ، لأنه يؤثر مذمتهم واستنكارهم على ثنائهم و اطراءهم .[1]

وقد روي أن أبا نواس كان صديقا لإبراهيم النظام وقد افترقا ، وكان ابراهيم خلال ذلك قد اعتنق مبادئ المعتزلة وصار منهم ولما التقيا لام أبا نواس على شرب الخمرة ومجاهرته بالعصيان .

ومن خلال قصائده تبدوا جرأته وإعجابه بنفسه حيث أجهر بشرب الخمرة وإدمانها وما تهيجه في النفس من الرغبة الملحة في شربها لأنه يضع نفسه الداء وهي الدواء ، وتبدوا هذه الطبيعة جلية وواضحة في قصائده الخمرية التي يؤثر فيها الجهر بشرب الخمرة على التستر .

فالخمرة لها مكانة مقدسة لدى الشاعر لهذا كان أغلب شعره في الخمريات فأجاد وأبدع .

يرى أبو نواس بأن الخمرة تحيي روحه ويرتاح لها القلب ، حتى قلب الشحيح البخيل على ماله ، فهي ذلك الدواء السحري الذي لا يطالب الشاعر بشيء إلاّ بأن يحرمه الله منها ، فهو لا يعتبرها شرابا يشرب وإنما هي فوق ذلك كله ، فهي النفس التي يحي بها .

يقول :

ولو عبد الخمر قبلنا احدٌ ممن مضى عبدناهَـــــــا [2]

فهو مجدها كالآلهة ولو عبدها من سبقه لكان هو أولى بعبادتها .

[1] عباس محمود العقاد ، أبو نواس الحسن ابن الهانىء ،المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 8 .

[2] عروة عمر ،الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته و اعلامه ،ص 109 .

علاقة أبي نواس بالخمرة لا تحتاج إلى إثبات لأنه ليس هناك من ينكرها وإنما غاية ما في الأمر الإشارة إلى اهم أسبابها :

1 ـ الأسباب النفسية

- الألم الذي لحقه من وضاعة نسب أبيه وسوء سيرة أمه .
- ما تخلفه الخمرة من راحة نفسية لدى الشاعر ولو ظرفية.
- توقه الشديد للحرية ومن ثمّ لا يقبل القيد كيفما اتفق نوعه .

2 ـ الأسباب الاجتماعية

- حرمانه من الرعاية الوالديّة بموت أبيه وتخلي والدته عنه .
- تولي والبة ابن الحباب الأسدي كفالته ورعايته وهو غير مأمون الخلق و الدين .
- انتماؤه الى عصابة من المجّان كانت تنشط في الكوفة .
- تردده على دور اللهو والمجون .

3 – الأسباب العقلية

- الْحَاح داعي التخصص الشعري و شهوة المنافسة ،ولا أدل على ذلك بما وقع بينه وبين أبي العتاهية من منافسة موضوعها الزهد.
- الشعر الخمري مثل ميدانا من ميادين البراعة الفنية .
- احتكاكه بجمهرة من الشعراء المولدين يعلون من شأن التقاليد الفارسية .

ثانيا : التجليات الفلسفية في شعر أبي نواس الخمري

يجد المتأمل في شعر أبي نواس أن للشاعر فلسفة وموقفا خاصا به في الحياة ترجمه من خلال آثاره الشعرية لاسيما الخمرية لارتباطها بمذهب معروف في الفلسفة بمذهب اللذة ، وقد انتظمت فلسفته في الحياة عنده ورؤيته لها في موضوعات كبيرة عبرت عنها الفلسفة كفلسفة الدين و الفلسفة الاجتماعية ولعل فلسفة الأخلاق وفلسفة الدين وفلسفة الجمال من أكثر موضوعات الفلسفة إلحاحا على ذهن أبي نواس في شعره الخمري .

1 ـ فلسفة الدين

لقد تناول أبو نواس في شعره الخمري ما يمكن رده إلى فلسفة الدين من ذلك دعوته للتمرد عن الدين والخروج عليه و العبث بالمقدس والطقوس التعبدية هزلا وجدا مقدما اللذات عليها دون أدنى حرج لما فيها من سهولة ويسر وما يترتب عنها من مشقة من ذلك قوله :

يا أحمد المرتجي في كل نائبة قم سيدِي نعصيِ جبّار السّمواتِ[1]

فهذه دعوة واضحة وصريحة للمعصية ، ولعل اللافت هو الإشارة للفظة المعصية وما تنطوي عليه ضمنيا من إحالة على العقاب الذي لا يبدوا الشاعر مكترثا به ثم هو لا يكتفي بالقيام بها منفردا بل يدعو غيره لمشاركته فيها و التحريض إثم آخر ،و هو ما يعكس استسلامه لمتعه واستعداده لما يترتب على اختياره ولا يقوم الشاعر بما يقوم عن جهل أو جحود بل طاعة للهواه وعدم الشعور بالخوف .

ومن ذلك قوله :

إذا ما أدركَتْه الّظهر صلَّى ولا عصر عليه ، ولا عشاءُ

يصلّي هذه في وقتِ هـذه فكل صلاته أبداً قضـــــاءُ

وذاك "محمّدٌ" تفديه نفسي وحقَّ له ، وقلَّ له الفـــداءُ[2]

والمعنى أنه إذا حانت صلاة الظهر وهو صاحي قام إليها ولا يرى صلاتي العصر والعشاء بعد ذلك فرضا عليه ،فهو يكتفي بإحدى الصلوات الخمس ، ثم إنه يخلط الصلوات و لا يكترث لمواقيتها المحددة ، إنما يصلي كيفما اتفق الأمر وتيسر ، ويجمع الصوات عند القضاء وهذا يتنافى مع صريح الآية الكريمة : ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِين **(238)**)) البقرة الآية 238 .

[1] سليم خليل قهوجي ،ديوان أبي نواس ،ص 188
[2] المرجع نفسه، ص 38.

و هاهي الأبيات الآتية ، توضح لنا بان اللهو والمجون من أبرز سمات حياته فيقول :

عاطني كأسَ سلــوةٍ عن أذان المـــــؤذّنِ

اسقني الخمرَ جهرةً و ألطنِي ، و أزننـــِــي [1]

فبالرغم من سماع الأذان إلا أنه يطلب كأس الخمرة ،و الأسوأ من ذلك يطلبها جهرا وعلنية ، وهذا هو الجهر بالمعصية ، وهو ما يترجم عدم اهتمامه بالمقدس والاكتراث به .ويقدم شرب الخمرة عن أي فرض ديني .

يقول الشاعر :

يا ناظرا في الدين ما الأمر لا قدر صحّ ولا جبر

ما صح عندي في جميع الذي تذكر إلا الموت والقبر

ويقول :

عاذل فيها أطعني وأقل الآن لومي

واشرب الراح ودعني من صلاة كل يوم

وإذا ما حان وقت لصلاة أو لصوم

فارفع الصوم بشرب وامزج الخمر بنوم

فكان قول الشاعر تصريح دونما حرج في التخلي عن عباداته مقابل شرب الخمر وهذا ما يعكس نظرته للعبادة ويبرز لنا فلسفة الشاعر في استخفافه بالقيم الدينية .

وقد نظم الشاعر قصائد عديدة تكشف عن جانب من جوانب عبثه وسخريته بالدين والازدراء بشعائره والاستخفاف بالموروث العقائدي .

[1] المرجع السابق ،ص 898.

ويقول أيضا :

قل للعذول بحانة الخمار والشرب عند فصاحهة الأوتار
إني قصدت إلى فقيه عالم متنسك حبر من الأحبار
متعمق في دينه ، متفقه متبصر في العلم والأخبار
قلت: النبيذ تحله ؟فأجاب : لا إلا عقارا ترتمي بشرار
قلت : الصلاة ؟ فقال :فرض واجب صل الصلاة ،وبت حليف عقار
اجمع عليك صلاة حول كامل من فرض ليل فاقضه بنهار
قلت : الصيام ؟ فقال لي :لا تنوه واشدد عرى الإفطار بالإفطار
قلت : التصدق والزكاة ؟فقال لي : شيء يعد لآلـــة الشطـــار
قلت: المناسك إن حججت ؟فقال لي هذا الفضول ،وغاية الإدبـار [1]

يقف الشاعر موقف جرأة غريبة غير عادية من المحرمات يترجم فيها ذروة التمرد بكل ما تحمله الكلمة من معنى مع السخرية في مجتمع كانت عقوبة الإلحاد فيه الموت . لذا إذا تأملنا في مواقفه الابداعية والفكرية نستحضر مبدأ التمرد والبدء بالذات فنرى فيه سمات الشاعر المتمرد على الحياة والمجتمع ، سعيا إلى التعبير عنه بكل الوسائل منتهجا إليه كل السبل ،فيتصيد المناسبات لتأكيد مبدئه في التفريط بالمقدس على حساب معاقرة الخمرة .وقد كانت غاية التمرد في ذات الشاعر وسيلة للكشف عن الذات وإعلاء شأنها وتجلي مبدأ الحرية ومواجهة قوى الواقع والوجود .

[1] أيمن زكي العشماوي ،خمريات أبي نواس ،ص83-83.

2 – فلسفة الأخلاق

إن مصطلح الفلسفة لوحده يشير إلى بيان العلوم النظرية، التي تبين خصائص الوجود الكلية ، بالأسلوب العقلي ، و أما مصطلح الأخلاق فانه يحكي الصفات الفاضلة و المذمومة في الإنسان ، وكذلك العلم الذي يتكلم عن الصفات ، والسلوكيات القبيحة والحسنة .[1]

يمكن القول أن قسما وافيا من آثار أبي نواس الخمرية التي عبرت عن موقفه من الحياة و الناس كان موضوعها فلسفة الأخلاق في صورتيها السلبية و الايجابية ومن أمثلة شعره الخمري الذي تناول فيه القيم الخلقية قوله :

فخذها ان أردتَ لذيذ عيش ولا تعدل خليلي بالمدام

فان قالوا :حرام ، قل :حرام ولكن اللّذاذة في الحرام[2]

فالشاعر ليس بغافل عن ما يفعله من خلق سيء ومذموم بل يحاول أن يجد مسوغا لشربها .

ويقول أيضا :

نفسي لا ترجعي عن الآثام و ارفضي الحل و اقصدي للحرام

واكشفي للمجون كل قناع ما يطيب المجون بالاكتتام

وقد تمكن أبو نواس من تحقيق هذا باستغراقه في الخمر لكونها متعة حسية أولا ، ثم تحويلها الى أبعاد أخرى كشفت لنا مفهوم الحسية الجمالية عند أبي نواس .

وعلى الرغم من أن الخمريات النواسية ، دعت إلى الرذائل وارتكاب المعاصي والجهر بها إلا أن هذا لا ينفي دعوة الشاعر لمكارم الأخلاق ، والابتعاد عن بعض الصفات السيئة كالكذب والنفاق والرياء

[1] قلامين صباح، محاضرات في فلسفة الأخلاق ، سلسلة المحاضرات العلمية تصدر دوريا عن مركز جيل البحث العلمي ، مايو 2015، ص13.
[2] عبد الله التطاوي ، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات ، دار غريب القاهرة ، مصر ،ص 199.

،التي ينبذها بما يشي إلى أن المجاهرة بالمعاصي قد يفهم منها ميله إلى الصراحة و الصدق في الحديث ولو كان في معصية.

وذلك في قوله :

مالي وللنّاس كم يلحونني سفهًا ديني لنفسي ودين النّاس للنّاسِ

وهو الذي يقول :

فإذا نزعت عن الغواية فليكنْ لله ذاك النّزع لا للنّـــــــــاسِ[1]

فالقضية عنده أن يقيم من إحساسات لذاته الصادقة قانونا لنفسه بعيدا عن سلطان الجماعة ، وما تفرضه على الناس من تقاليد يحرص المجتمع على طاعتها والاستسلام لسلطانها . إما طواعية أو قهرا . وهو إن كف عن الغواية ، فإنما يكف استجابة لما يدعوه الله سبحانه وتعالى إليه ، لا خوفا من الناس أو خضوعا لما يقولونه أو يلومونه عليه .[2]

فالصدق عنده نابع من ذاته، حتى يكون فعله مستقلا عما يجري في الخارج من أوضاع أو عادات أو سلوك ، فنجده شديد الحرص على صدقه مع نفسه معلنا غير مخف ذلك ، حتى وهو ينشد الخمر يرى أن الجهر بشربها فضيلة ،فإذا كان كل ذلك غير خاف على الله سبحانه وتعالى ، فلماذا نخفيه عن الشارع ، فالله وحده من يجب أن تصدقه في سرك وجهرك ، وقد أشار إلى ذلك طه حسين في حديثه عن أبي نواس في قوله (يسلك سبيل الصادقين ....فإذا اجترأت على معصية الله ومخالفة حدوده ، فما يعنيك أن يقول الناس فيك) .[3]

[1] ايمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ،ص 175.
[2] المرجع نفسه ،ص 175.
[3] ينظر في ،المرجع نفسه ،ص 175.

ويقول في المجاهرة بما في نفسه غير آبه بالناس :

يا حبذا الجهر بأمر الصّبَا ما كنت من ربّك في ستـــرِ [1]

وهذا هو الذي يفسر لنا هذا الدافع النفسي الملحُّ الذي كان يدفع أبا نواس الى تغيير واقعه يستبدل به واقعا يختلف عن واقع الناس ، فكان يسعى سعياً لخلق عالم ينأى فيه عن الموجود او المألوف . انه يرفض المألوف والحاضر ويسعى الى المفقود ، الى ما ليس متحققا أو موجودا ، انه البحث عن الزمن المفقود أو عن عالم الهيام والنشوة والحلم .

لقد أطلق أبا نواس بعض النصائح في أدب الخمرة ، و قد ضبطها في إحدى قصائده بالتدرج والترقيم ، إذ قال :

حقوق الكأس والنّدمان خمْس فأوَّلها التزيُّن بالوقـــــــارِ

وثانيها ما سامحةُ النّدامـــــى وكم حمت السّماحة من ذمارِ

وثالثها ،وان كنت ابن خيـــــرِ البرية ، محتداً ، تركُ الفخـــارِ

و رابعها فللنّدمان حـــــــق سوى حق القرابة و الجــوارِ

إذا حدثنه فأكسُ الحديـــــثَ الذي حدثّته ثوب اختصـــارِ

و خامسها يدل به أَخـــــــوه على كرم الطبيعة والنجـــارِ

كلام اللّيل ينساه نهـــــــــاراً فان الذّنب فيه للعقـــــارِ

فان حكمت كأسك فيه فأحكُم له بإقالةٍ عند العثـــــــارِ [2]

[1] المرجع السابق،ص 176.
[2] ايليا الحاوي ، فن الشعر الخمري،ص 274.

بدأ الشاعر قصيدته بالدعوة للتزين بالوقار ثم عرج الى المسامحة ثم نصح بالابتعاد عن الفخر و التباهي كما أقر أن للنديم حق الصحبة وهو خلاف القرابة والجوار ،فإذا حدثته اختصر كلامه وربما هذه اشارة الى حكمة خير الكلام ما قل ودل ثم دعوته إلى إقالة عثرة النديم عندما تكون منه الزلة فالأبيات تظهر حرص الشاعر على صيانة الحقوق الإنسانية وهي قيمة خلقية رفيعة وإن كانت مرتبطة بالندماء وما ينبغي أن تكون عليه مجالسهم ومتضمنة في شعره الخمري ،ولكن حرصه عليها في مثل هكذا مجالس وأوقات يدل على نظرة للأخلاق ولو بصورة من الصور وأن الأخلاق لا ينبغي أن تكون وقفا على المستقيمين والمتنسكين .

ويقول:

إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي [1]

وفي قوله هذا نلمس اندفاعه الشديد في الإسراف في شرب الخمرة مما خلق فيه روح التحدي الذي يصدر عن وعيه وإدراكه لطبيعة العقاب الذي سينتهي إليها دونما خوف من ذلك .

ويقول أيضا :

يا من يلوم على حمراء صافية صر في الجنان ودعني أسكن النارا

فالشاعر يخاطب من يلومه على الخمرة وهي الكبيرة التي يخلد مرتكبها النار ،فهو عالم بما ينجر عنها فيفضل أن يأوي إلى النار مقيما في لطامها ولك نعيم الجنة يا من لمتني فيها .

نجد أن الشاعر يستحضر كثيرا من الأبيات الشعرية التي تظهر موقفه من العقاب .

فيقول :

بكرت علي تلموني فأجبتهـــا إني لأعرف مذهب الأبرار

فدعي الملام فقد أطعت غوايتي وصرفت معرفتي إلى الإنكار

ورأيت إتياني اللذاذة والهـــوى وتعجلي من طيب هذي الدار

[1] عبد الله التطاوي ، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص 201.

أحرى وأحزم من تنظر آجل علمي به رجم من الأخبار

ما جاءنا أحد بخبر أنـــه في جنة مذ مات أو في نار

يقول أبو نواس :

لا تسقني الدهر إما كنت لي سكنا إلا التي نص بالتحريم جبريل

إن كان حرمها الفرقان بعد فقـــد أحلها قبـــل توراة وإنجيل [1]

أدت بالشاعر تضحيته إزاء الدين إلى اصطناع محاولات مختلفة لشرب الخمرة على مذهب دين آخر حتى يرفع عنه الحرج ويسقط الذنب .

[1] المرجع السابق،ص 199.

2 – فلسفة الجمال

الإنسان يميل بطبعه الى وصف ما يرضاه ويعجبه بأنه جميل ، ومن هنا يكون من الصعب أن نحدد ما الجمال أو أن نقدم تعريفا للجميل ، فقد يرى البدوي في الصحراء جمالا لا يراه ابن المدينة ، وقد يرى البدوي في وشم ألوان الزينة جمالا لا يراه الأوروبي ، وما يعجب في الصين قد لا يعجب من يعيش في عاصمة الفرنسيين .... بل يختلف الذوق بين أبناء الحضارة الواحدة ، وذلك حسب ثقافتهم وبيئاتهم ، بل يختلف ذوق الانسان نفسه بحسب درجة تدريبه وتهذيبه .[1]

وتعد فلسفة الجمال من أبرز موضوعات الفلسفة لقيامها بإعطاء نظرة فنية للمتأمل .

لقد كانت لأبي نواس رؤية جمالية لما وقع عليه حسه وإن خالف فيها غيره وهو لا يكترث بذلك بما يؤكد أن نظرته للجمال تقوم على رؤية فلسفة ولعل الخمرة كانت ملهمته فشعره الخمري عكس لنا ابداعه في تصوير الجمال من خلال وصف الكأس والخمارة والنديم والساقي و المجلس ومن ذلك تغنيه بجمال الخمرة .

يقول أبي نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحاتهَا لو مسّها حجر مسّتها سـرّاءُ

قامت بإبريقها، واللّيل معتكـرٌ فلاح من وجهها في البيـت لألاءً

فأرسلت من فم الابريق صافيـةً كأنَّما أخذها بالعين اغفـاءً [2]

من خلال هذه الأبيات نلمس جمالا حسيا يتأجج في نفس الشاعر عند رؤيته للخمرة واختيار اللون الأصفر وما له من تأثير على النفس ، فهذا اللون يبعث في النفس بهجة وسرور وسعادة ،و أنه يسري عن النفس فلا يحمل الناظر إليه على الحزن و الاكتئاب وأنه ليس مجرد لون ولم يكتف بهذا الجمال

[1] اميرة حلمي مطر ، كتابك فلسفة الجمال ،القاهرة ، مصر، ص 5.
[2] سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس ،ص 32.

الحسي بل وصف جمال الجارية التي تسقيهم الخمر ، فهو يصفها بالضوء اللامع في الدجى فأشرق ضياء وجهها في ظلمة البيت أي الخمارة ، ولو تأملنا في البيت القائل :

فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين اغفـــــاءُ

لوجدنا أن الخمرة بلونها الأصفر كأنها نور الشمس الساطع ، التي تسدل جدائلها بخيوط ذهبية فتطبق جفنيها كأنها مغفية لشدة سطوع النور في عينها .

وقد صرح في أبيات أخرى بتلازم وجود قاسم مشترك بين الخمرة والشمس والبدر ،ألا وهو اللون الأصفر وذلك في قوله :

كأنّها الشّمس اذا ما صفَّقتْ منزلها الكبشُ أو الحـــــوتُ

أو دارةُ البدرِ، اذا ما استَوى و تمَّ للعدِّ المواقيـــــــــــتُ [1]

فالشمس والبدر منذ بدأ الشعر قرينا الجمال و الجلال سوى كان ذلك في وصف جمال المرأة أو سواها ،فنور الشمس وضياء القمر في نظر الشاعر يتجليان في جمال خمرته .كما أن نظرته للجمال مرتبطة باستوائه وأخذه لصورته الأخيرة وهو يقرن استواء الخمر ونضجها بتلك الصورة الحسية الآسرة .وها هو يرسم لنا صورة فنية للخمر وضوءها المشرق وتقدم لنا عالم من الضوء كله شموس وأقمار وكواكب .

يقول :

لا ينزل اللَّيل حيث حلّـــتْ فليل شُرَّابها نهـــــــــارُ [2]

يقول أنها تضيء الظلام فشاربوها هم في نهار لا ينقضي .

[1] المرجع السابق ، ص 177.
[2] المرجع نفسه ،ص 358.

ويقول أيضا :

رقّت عن الماء حتى ما يلائمُهـــا لطافةً ، وجفا عن شكلها الماءُ

فلو مزجت بها نورا لمازجَهـــــا حتى تولَّد أنوار وأضـــــــــواءُ [1]

فالشاعر هنا يغازل لطافة الخمر اللاّ متناهية حتى أنها صارت أرق من الماء وألطف ، حتى كادت لا تتمازج به حين أنها تتمازج بالنور لأنه من طبيعتها و من هذا التمازج يتولد فيض من الأنوار و الأضواء .

كما نجد للون الأحمر حظا من وصفه للخمرة فهو يتغنى بها صفراء كانت أم حمراء ، فنلاحظ سيطرة اللونين رئيسية فهو تارة يصفها صفراء .

فيقول :

صفراء تفترسُ النُّفوس ، فلا ترَى منها بهن سوى السِّناتِ جِراحا [2]

ويقول أيضا :

صفراء زان رواءها مخبورهَـــــا فلها المهذب من ثناء الحاسِي [3]

ففي هذه الأبيات عبر الشاعر عن جمال الخمرة ومدى تأثيرها في النفس ، فلونها الأصفر الجذاب يفترس النفوس فتغلب شاربيها غير أنه لا يبدوا من آثار افتراسها لهم إلا ما تتركه في عيونهم من نعاس.

[1] المرجع السابق ، ص 33.
[2] المرجع نفسه ، ص 208.
[3] أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ، ص 105.

وتارة اخرى يصفها بأنها حمراء قائلا :

راحاً مشعشعةً ، حمراءَ ، صافيةً بالكوخ عتَّقها الدَّهقان فادُوسا [1]

ويقول :

حمراءُ ، علَّقها بالماء شاربُهَـــا تفتضُّ عذرتها في بطن رحراحِ [2]

وحين آخر يمزج اللونين معًا وذلك يظهر في قوله :

صفراءٌ كرخيَّةٌ ، حمراءُ اذا مزجتْ كأنَّها وجلٌ يعلوه لونـــــــــانِ [3]

تراءى لنا فيما سبق ذكره كيف كان ولع أبو نواس بالحديث عن شعاع الخمرة ووصف صفائها و لألأها وقد اتخذ من الألوان ما يوضح الصورة الابداعية عنده في وصف الخمر .فنستخلص أن للّونين الأصفر والأحمر الصدى البالغ لعالم لا نهائي من الحرية تكشف في ظاهرها الحسي عن رموز لعالم ابي نواس الوهمي والخيالي معا .

ولم يكن الجمال حكرا على ما تبصره العين فحسب بل تعدته الى الرائحة فاتخذوا من الطيب عنبرا ومسكا و رياحينا ، روائح لمجالسهم وافترشوها ،كما أشاروا الى وجود التفاح في هذه المجالس ويعتبرون رائحته أعصم للروح من أي رائحة أخرى وفي ذلك يقول :

صهباء ، صافيةٌ تجديك نكهتُها تنفُّسَ المسْك ، ملطوخًا بتفَّـاحِ

فهنا ينظر الشاعر الى الخمرة بأنها صافية صفاء الماء في الخلجان و ان رائحتها تجذب النفس .

[1] المرجع السابق ، ص 105.
[2] المرجع نفسه ،ص 99.
[3] المرجع نفسه ، ص 105.

ويقول كذلك في تشبيه رائحة الخمر برائحته :

من بنت كرمٍ ، لها في الكأس رائحةً تحكي لمن نال منها ريح تُفَّاحِ [1]

فهو يتفنن في وصف الخمرة وجمالها اذ وصف من نال منها أنها مزجت بين طعم الكرم وعبق التفاح.

ويقول :

شكَّ البزالُ فؤادها ،فكأنَّمـــــا أهدتْ اليك بريحها تفَّـــــاحا[2]

لقد اختار أبو نواس أطيب الروائح وأزكاها وصفا لجمال الخمرة ومجالسها حتى غدت عنده تارة شبيهة بالمسك في عبقه وتارة بالتفاح في أريجه .وعليه فان روائح الخمرة تؤثر في النفس والفؤاد لدى من يشربها وتهدي له ريح تفاح.

[1] المرجع السابق ، ص 133.
[2] سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس ،ص 208.

خاتمة

وقبل أن نسدل الستار على عملنا حري بالباحث الوقوف عند مجموعة من المحطات تمثل أهم ما توصل اليه من نتائج أهمها :

- ان نشأة أبي نواس المضطربة كانت السبب الأبرز في اتجاهه نحو الخمرة ومن ثمة الشعر الخمري.
- ان يتم الشاعر المبكر وتخلي أمه عنه دفعاه الى ما انتهى اليه أمره من الشغف بالخمرة والتغني بها .
- ان ثقافة أبي نواس بما اتسمت به تنوع وثراء كانت المادة التي يرفد منها مادته الخمرية
- يجد المتأمل في ديوان أبي نواس الشعري هيمنة الخمريات على عموم أغراضه حتى ربت عن ثلثي ديوانه.
- لقد توفرت من الأسباب السياسية والاجتماعية والعقلية ما جعل انتشار الخمرة في العصر العباسي أمرا منطقيا وبحثها عند الشاعر تحصيلا حاصلا.
- ان موقف الشاعر من الانسان والحياة والكون جاء متضمننا في شعره الخمري ، منسجما مع أبرز الموضوعات التي عبرت عنها الفلسفة الحديثة ونخص بالذكر فلسفة الدين والأخلاق والجمال.
- صاغ الشاعر رؤيته للدين بقالب فلسفي كشف من خلاله عن مكانته عنده وصلته به ،في المقابل ما يتطلع من رغائب ومتع .
- يتراوح اهتمام الشاعر بالأخلاق في شعره الخمري بين مثمن لها ومستهين بها إلى حد الإسفاف .
- لم تقتصر الرؤى الفلسفية في الخمريات على القيم المشار اليها (الدين ، الأخلاق ،الجمال) بل تعدتها الى سواها من نظرات شغلت تفكير الشاعر كالفلسفة السياسية و الاجتماعية والفلسفة الوجودية وغيرها التي تتيح للدارسين التعمق فيها و نقد الفكر النواسي من خلالها.

- يظهر أبو نواس في خمرياته رجل تفكير وجدل وجرأة ، يكشف عن آرائه بما أوتي من العلم قارعا الحجة بالحجة في لباقة ومهارة بارعتين .

الفهرس

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة.....	أ
الفصل الأول : أبي نواس والشعر	
أولا : حياته وثقافته.....	**06**
1-نسبه ومولده.....	**06**
2-نشأته وثقافته.....	**06**
ثانيا : الشعر عند أبي نواس.....	**10**
1-روافده.....	**10**
2-موضوعات شعره.....	**11**
الفصل الثاني : الخمريات وتجليات الرؤى الفلسفية	
أولا : الشعر الخمري في العصر العباسي.....	**19**
1-تعريف الشعر الخمري.....	**19**
أ- تعريف الخمرة لغة.....	**19**
ب- تعريف الخمرة اصطلاحا	**19**
ت- تعريف الشعر الخمري.....	**20**
2-عوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي	**21**
أ- الأسباب السياسية.....	**21**
ب- الأسباب الاجتماعية.....	**21**
ت- الأسباب العقلية.....	**23**
3-علاقة أبي نواس بالخمريات.....	**24**
أ- الأسباب النفسية.....	**25**
ب- الأسباب الاجتماعية.....	**25**
ت- الأسباب العقلية.....	**25**

ثانيا : التجليات الفلسفية في شعر أبي نواس الخمري.....	**26**
1-فلسفة الدين.....	**26**
2-فلسفة الأخلاق.....	**30**
3-فلسفة الجمال.....	**35**
خاتمة.....	**ج**
قائمة المصادر و المراجع.....	**44**
الفهرس.....	**47**

– قائمة المصادر والمراجع :

–قائمة المصادر :

1 –القرآن الكريم .

2 –ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ،لسان العرب ،الدار المصرية للتأليف والترجمة :ج 5

3 –سليم خليل قهوجي ، ديوان أبي نواس .

–قائمة المراجع :

1 –إيليا الحاوي ، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1981/51401 م.

2 –أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل ، دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية ، مصر 1998.

3 –شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط 16.

4 –عباس محمود العقاد ، أبو نواس الحسن ابن الهانىء ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت .

5 –عبد الله التطاوي ، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات ، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر .

6 –عروة عمر ، الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه ، دروس ديوان المطبوعات الجامعية .

7 –علي فاعور ، ديوان أبي نواس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 2002/51423 م.

8 –محمود أفندي واصف ، ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية ، مصر 1898 ، ط 1.

9 –مصطفى الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1979 م ، ط 6 ، 1986.

10 –مصطفى بيطام ،مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول 131-231 ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الساحة المركزية ،بن عكنون ، الجزائر ، د ط ، د ت

11 –قلامين صباح ، محاضرات في فلسفة الأخلاق ، سلسلة المحاضرات العلمية تصدر دوريا عن مركز البحث العلمي ، مايو 2015.

12 –أميرة حلمي مطر ،كتابك فلسفة الجمال ، القاهرة ، مصر .